رُدني إليك

www.ketab.ir

أحمد آل حمدان

سرشناسه : آل حمدان، احمد، ۱۹۷۰- م.
عنوان و نام پدیدآور : ردني اليک/تاليف احمد آل‌حمدان.
مشخصات نشر : قم: کتاب قاصدک، ۲۰۲۴ م.= ۱۴۰۳.
مشخصات ظاهری : ۲۹۴ ص.؛ ۱۴/۵×۲۱/۵ س‌م.
شابک : 978-622-5411-90-6
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : زبان: عربی.
موضوع : داستان‌های عربی -- قرن ۲۱م.
Arabic fiction -- 21st century
رده بندی کنگره : PJA۴۹۱۰
رده بندی دیویی : 892/737
شماره کتابشناسی ملی : 9577016

منشورات كتاب قاصدك
QASDAK BOOK PUBLICATION

ردني إليك

تأليف: **أحمد آل حمدان**

الناشر: **كتاب قاصدك**

الكمية: **500 نسخة**

الطبعة: **الأولى - سنة 2024**

www.qasdak.com
Iraq (+964) 7810004505
Iran (+98) 9900900340
Iran (+98) 25 37730007
إيران - قم - مجمع ناشران

ISBN: 978-622-5411-90-6

www.ketab.ir

بداية

ستمضي بالكثير من خيبات الأمل قبل أن تُلقنك الحياة درسها الأهم وهو: «أن الحُب ومهما بدا رائعًا وجذابًا في البداية إلا أنه شيء لا يمكنك الاتكاء عليه؛ إنه يعرجُ بك نحو السماء السابعة، وعندما يُدرك بأن سقوطك سيكون قاتلًا.. يُفلتك»

لقد سقطتُ من ارتفاع شاهق جدًّا.. تهشّمت عظامي كُلها، وثُقبت رئتاي حتى أصبحتُ بالكاد أتنفس.. ورغم أنه لم يعد في استطاعتي رؤية الأشياء من حولي إلا أنني استشعرتُ شخصًا ما يقترب مني:

- «إنها فتاة» - قلتُ لنفسي.

فقد كان ذلك واضحًا من خلال الصوت الناعم الخفيف لهزة الخلخال الغجريّ الذي كانت تلفه حول كاحليها..

انحنت عليّ تلك الفتاة أسندت رأسي بكلتا يديها، وجعلت تحدق قليلًا في ملامح وجهي المحطم، كأم تتفقد الجنود المصابين بعد انتهاء المعركة تُفتش بينهم عن ابنها المفقود، قالت:

- وجدتك.. تماسك، سأنقذك!!

سألتها بصعوبة:

- من تكونين؟!

- سأخبرك لاحقًا، المهم لا تمت!!

www.ketab.ir

ولأني كنتُ أرجفُ من شدة الحُمى وقسوة البرد؛ فإنها لم تكترث لبقائها أمامي شبه عارية، ونزعت عن جسدها معطف الفرو لتُدثرني به، ثم همست تعاتبني بلطف:

- **الأغبياء وحدهم من يثقون بالحب.**

في تلك الليلة المُظلمة اعتنت بي الفتاة جيدًا: خاطت لي جروحي العميقة، لفّت بالجبيرة كُل عظامي المُحطمة، ثم أوقدت نارًا في حزمة من الأحطاب؛ كما لو أنها بتلك النار أرادت أن تمنع ذئاب الحنين من مهاجمتي على حين لهفة..

أخيرًا وعندما تأكدت تلك الفتاة من أني أصبحت بخير، وبأنّي لم أعد في حاجة للمزيد من الرعاية الطبية، فإنها طبعت قبلة مطولة على خدي وابتعدت:

- لحظة إلى أين؟ - استوقفتُها.

- لا تقلق سأعود إليك، فقد أصبحتُ قدرك..

- لماذا قمتِ بإنقاذي؟

- لأسكنك..

- من أنتِ؟

- شيطانتك..

www.ketab.ir

كانت نبرة صوتها الجادة لا تدع مجالًا للشك بأنها ربما قد تكون فتاة مجنونة أو أنها تمزح..

سألتها بحذر:

- بحق الرب من أنتِ؟!

أجابت كما لو أنها استطاعت قراءة ما يدور في رأسي:

- أنا لست فتاة مجنونة ولا أمزح

- من تكونين إذًا؟!

- أنا شيطانة الكتابة، وقمتُ بإنقاذك لأسكنك..

- ولماذا أنا؟!

ابتسمت ثم قالت وهي تخفي شيئًا فشيئًا:

- لأن شياطين الكتابة لا يسكنون إلا بداخل من هزمهم الحُب.

www.ketab.ir

1

الثلاثاء،

العاصمة،

17/ ديسـمبر/ 2019

كانت ليلة طويلة وماطرة من شتاءات مدينة الرياض، لا صوت في الأرجاء يقطع سكون الصمت غير حفيف بعض السيارات المسرعة.. القمر مكتملٌ في السمـاء البعيدة لكنّ غيومًا رمادية كثيفة كانت تحيط به مثل أحفاد صغار يجلسون حول جدتهم يستمعون بدهشة وإصغاء لقصصها الخرافية القديمة..

هناك فوق الرصيف الخالِي من المارّة كنتُ أسير وحيدًا، أرتدي بنطالًا ثقيلًا ومعطفًا جلديّ، وألفُّ حول عنقي شالًا من الصوف يقيني هجمات البرد المباغتة..

دخلت عمـارة سكنية ذات طراز عتيق، صعدتُ سلالمها المهترئة بأقل ضجيج ممكن؛ لكي لا أوقظ بخطواتي سكانها النائمين، توقفت أمام شقة عُلِّقَ على بابها هذه العبارة:

«سوف تفوتك الحياة، إن لم تقرأ»

- العم ميلاد -

www.ketab.ir

كبست زر الجرس لأكثر من مرة ولكن لم يفتح لـي أحد.. أخرجتُ هاتفي المحمول وطلبتُ رقم العم ميلاد.. فأجابني سريعًا كما لو أنه كان يتوقع اتصالي.. قلتُ له ممازحًا:

- أأُصبتَ بالصمم أيها الرجل العجوز؟.. افتح أنا عند الباب

- لستُ في المنزل - ثم أردف مُداعبًا: لقد تركت لك الباب مفتوحًا ألا تراه؟! أم أنك أُصبتَ بالحول أيها الشاب الطريّ؟!

كانت العمارة السكنية من الداخل سيئة الإنارة؛ ربما لهذا لم ألحظ أنّ باب شقته كان مواربًا بالفعل، دفعته بيدي وما أن فُتح حتى أطلقت مفاصله أنّة طويلة متقطعة بدت للحظة وكأنها صوت ضحكة الباب وهو يسخر مني.. قلتُ أبرر للباب خطئي:

- لم أنتبه!!

جاء صوت العم ميلاد في السماعة:

- يجب أن تفتح عينيك جيدًا؛ فالفرص في هذه الحياة لا تشرِّع لك أبوابها بل تجعلها لك مواربة.. تمامًا مثل ما كان باب الشقة قبل أن تدفعه بيدك.

- نصيحة جيدة - أجبته وأنا أضع أولى خطواتي داخل شقته الدافئة، وأضفتُ قائلًا: غير أنه كان من الأفضل لو أنك نصحتني بتجفيف ملابسي سريعًا حتى لا يصيبني البرد؛ فأنا مبلل حتى آخري.

- ألا تزال حتى وأنت في هذا العمر تبلل نفسك؟

في تلك اللحظة هبّت نسمة هواء أغلقت الباب، فأطلقت مفاصله مع الارتداد أنّة سريعة بدت لي كما لو أنّ الباب يعاود السخرية مني مجددًا:

- لم أبلل ملابسي لقد بللها المطر!!

سأل العم ميلاد:

- وهل السماء تمطر فعلًا؟!

من خلال سؤاله ذاك عرفت أنّه في مكان مغلق، وإلا لكان عرف من تلقاء نفسه أن السماء تمطر «ربما يكون في زيارة أحدهم».. ولكن لحظة هو لا يملك أقاربَ في مدينة الرياض، وليس لديه أصدقاء هنا غيري:

- أين ذهبت في هذا الليل، أأصبحت عاشقًا على نهاية عمرك؟

- لا اطمئن فأنا لم أُصب بالخرف بعد

- أين ذهبت إذًا، إنها الثانية فجرًا؟!

- سأخبرك عندما أعود.

- ستتأخر؟

- ليس كثيرًا.

قال ذلك ثم فجأة سمعتُ وقع أقدام شخص يقترب منه.. لم أكن واثقًا في البداية ولكن صوت وقع الأقدام ذاك بدا كما لو أنه يشبه طرق كعب حذاء امرأة..

همس العم ميلاد بعجالة:

- آسف، أنا مضطر لإغلاق الخط..

www.ketab.ir

رغم أنّه بات على مشارف السبعين من عمره إلا أنّ حماقات المراهقة كانت لا تزال تحتل كل شبر في جسده، مما يدفعه في كثير من الأحيان لإقحام نفسه في مشاكل لا يستطيع الخروج منها بسهولة.. سألته:

- ما بك، صوتك يرجف هل أنت في ورطة؟!

- لا تقلق أنا بخير - ثم أردف هامسًا وبسرعة من يكتب وصيته الأخيرة: أشعل الدفاية في غرفة الأولاد لكي لا يُصاب أحدهم بالبرد، وأخبرهم بأن والدهم يحبهم كثيرًا..

- لحظة لا تغلق الخط، خطوات من هذه التي تقـ..

لكنه أغلق الخط في وجهي دون أن يعطيني إجابة على سؤالي.. تُرى من عساها تكون تلك التي ذهب العم ميلاد خلسة لرؤيتها في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل؟!

***

ذهبتُ للغرفة التي أجلس معه فيها دائمًا عندما آتي لزيارته.. كانت غرفة واسعة يغطي حيطانها الأربعة خزائن خشبية تحمل على رفوفها الكثير جدًّا من الكتب.. يتوسط تلك الغرفة طاولة صغيرة من خشب الأبنوس الفاخر يعتليها مصباح قراءة، وآلة كتابة عتيقة كان العم ميلاد يحب الكتابة عليها.. سحبت ورقة من حافظة أوراقها وقرأت:

«معكِ كانت الفصول في صدري تنحصر في الربيع، وكانت السماء قريبة منّا للحد الذي كان باستطاعتي فيه أن أرفع يدًا إليها، وأقطف لكِ منها قمرًا أو نجمة أو غيمة»

www.ketab.ir

رغم فارق السن الكبير الذي بيننا إلا أنّه كان أكثر أصدقائي قربًا، وهو الشخص الوحيد الذي سأظل طوال عمري ممتنًا له من أجل معروف قديم صنعه لي: فهو الذي أخذ على عاتقه مهمة تعليمي الكتابة الأدبية، حتى أصبحتُ كاتبًا.. سحبت ورقة أخرى وقرأت:

«كان يشع حولي ألف ضوء منير، لكنّي لم أختر إلا عتمتك القاتمة ذلك أن ظلامك بالنسبة لي .. كان يُغني عن ألف شمس ساطعة»

***

أشعلت نظام التدفئة في الغرفة كما أوصاني العم ميلاد قبل أن يُغلق الخط في وجهي.. ثم همستُ للكتب المتكدسة فوق الأرفف:

- أبوكم يخبركم بأنه يحبكم كثيرًا..

كانت العلاقة التي تجمعه بالكتب شديدة الغرابة؛ فقد كان يعاملها كما لو أنها عائلته الوحيدة.. أذكر أني سألته حين التقيت به لأول مرة في الولايات المتحدة الأمريكية عندما كنتُ أدرس هناك قبل أعوام:

- لماذا تحب الكتب لهذا الحد؟!

كان جوابه غريبًا قال بأنّه يحب الكتب لأنها لا تخون، لأنها تتفهم حاجته للعزلة والصمت، لأنها تنصت إليه باهتمام عندما يبدو كلامه للآخرين سخيفًا.. ولأنه محدود القدرات ولا يستطيع رؤية ما وراء ظهره، بينما تمنحه الكتب قدرة الرؤية لما وراء الأشياء، ولأنّ رائحة الشيخوخة حين باتت تفوح منه، أصبح الآخرون يخترعون الذرائع لمغادرته، بينما بقت الكتب وحدها معه، تنظر إليه من فوق الأرفف بحب وولاء.

www.ketab.ir

تأكدت حينها أن هناك من آلم قلب ذلك الرجل المسكين، وبأنّ حبه الشديد للكتب ذاك لم يكن إلا تعويضًا عن شيء يفتقده بشدة، أو بشكل أدق: **كانت الكتب بالنسبة إليه ضمادة يُغطي بها جُرحًا عميق.**

أذكر أيضًا أنّه سألني وقتها:

- وأنت لماذا تحب الكتابة لهذا الحد؟!

- لأنّها الشيء الوحيد الذي يساعدني على البقاء حيًّا..

- وأين هي كتاباتك؟!

- لا أملك شيئًا منها.

- لماذا؟!

- لأنّي أُطعمها للنار..

- تحرق أوراقك؟!

- نعم، بعد كل مرة أنتهي فيها من الكتابة..

- ولماذا تحرقها؟!

- لأني أخاف

- من ماذا؟!

- من سخرية الآخرين؛ أنا أحب الكتابة مذ أن كنت صغيرًا، ولكن الجميع كانوا يسخرون مني عندما يقرؤون لي..

- فأصبحتَ تحرق أوراقك حتى لا يسخر منك أحد؟!

- نعم، هذا هو السبب

www.ketab.ir

قال بغضب مكتوم:

- أتعلم؟!.. لو كنتُ قاضيًا لأمرت بشنقك

متعجبًا سألته:

- لماذا؟

- لأنك ترتكب جريمة ضد الأوراق!!

لم أكن حينئذ أعرفه جيدًا وبالتالي لم أستوعب حينها لماذا كان غاضبًا مني لتلك الدرجة، قلت في محاولة لتصليح الأمور معه:

- سأكتب شيئًا من أجلك.. صحيح أنّي لا أحب أن يطّلِع أحدهم على ما أكتب ولكن لا بأس إن كان هذا سيرضيك

- لا تُحرق الأوراق، إن كنتَ فعلًا تريدني أن أرضى.

- لم يسبق لي أن رأيتُ شخصًا في هذا العالم يـهتم بالأوراق مثلك

- ربما لأننا أصبحنا نعيش في عالم فاسد يحتاج سكانه لتأديب.

- ألا ترى بأنك تعطي الأمور أكبر من حجمها؟!

- بل أضعها في حجمها الطبيعي، أنت من يبخس قيمة الأشياء هنا.

- أي أشياء هذه التي أبخس قيمتها؟! - سألت متعجبًا ثم أخرجت له من جيبي ثلاثة دولارات وقلت: بهذه الدولارات الثلاثة فقط أستطيع أن أشتريَ لك دزينة من الأوراق تكفيك دهرًا، إنّ الأوراق ليست ثمينة كما تعتقد.

www.ketab.ir

ببرود شديد أدخل يده في جيب بنطاله وأخرج لي دولارًا واحدًا:

- أترى هذا الدولار الواحد؟!.. أستطيع أن أشتري به عبوة ماء، ثم أُنقذك بها عندما تكاد تموت عطشًا.. أرأيت؟!.. لقد أنقذتُ روحك بعبوة ماء اشتريتها فقط بدولار واحد، هل هذا يعني أن روحك ليست ثمينة؟!

انهزمتُ أمام منطقه، لقد كان المثال بسيطًا من حيث الفكرة لكنه ثقيل في معناه.. أما هو فقد كان يدرك جيدًا مدى العمق الذي وصلت إليه كلماته، لهذا ربما صمتَ لبعض الوقت قبل أن يسأل:

- أخبرني هل تعرف ميثاق الشجرة والكاتب؟!

أجبتُ بشرود: لا، لا أعرف.

- لكنّك تعرف بأن الأوراق تُصنع من الأشجار أليس كذلك؟

في الواقع إنها المرة الأولى التي كنت أعرف فيها أنّهم يصنعون الأوراق من الأشجار، لكنني تظاهرت بالعكس لأتفادى غضبه:

- نعم، أعرف..

- هل تحلم بأن تصبح كاتبًا في المستقبل؟!

- هذا أكبر أحلامي، ولكن..

- ولكن ماذا؟!

تنهدتُ وأنا أقول:

- ولكنه حُلم يستحيل تحقيقه.

www.ketab.ir

أذكر أنّي وقتها كنتُ مشتتًا لا أعرف أين أضع خُطوتي الأولى، متناثر أبحث عن صمغ جيد أُلصق بمعيته أحلامي المُبعثرة.. تائه والدرب مستحيل.. أخاف من سخرية الآخرين مما أكتب، وأخاف أن أكتب فلا يقرأ لي أحد..

قال العم ميلاد وكأن الله أطلعه على قلبي في تلك اللحظة:

- سوف أُعلمك الكتابة الأدبية، وستحقق حُلمك.

سألته بشك:

- وما مصلحتك أنت من هذا؟

قال وعيناه تخفيان سرًّا:

- ستعرف يومًا.

كنتُ أعرف جيدًا أننا نعيش في وقت لا أحد يُساعد فيه أحدًا دون مقابل، غير أنّ الشغف بداخلي كان أكبر من التردد أو الشك؛ لذلك قلت لنفسي وقتذاك بأنّه طالما سوف يُساعدني في تحقيق حُلمي فلا يهم أي سر كان يُخبئه خلف ظهره:

- موافق، ما هو الدرس الأول؟!

- يجب عليك أولًا أن تتعرف على ميثاق الشجرة والكاتب

- وأنا كلي آذان صاغية..

www.ketab.ir

أما هو فإنه ابتسم لحماسي ذاك، وبدأ يتكلم:

- تقول الأسطورة بأن أحد الكتّاب القدماء ذهب للغابة ذات مرة، لجمع بعض الأشجار التي سيقوم بتحويلها لأوراق للكتابة، ولكن وبينما هو يتجول وحيدًا هناك إذ سمع فجأة صوت شخص يبكي، انتابه فضول شديد حينها؛ فهو يسكن بالقرب من الغابة ويعرف بأن لا أحد في العادة يزورها غيره، فذهب ليتفقد الأمر وحين وصل لمصدر الصوت وجد شيئًا غريبًا للغاية: **لقد وجد شجرة تبكي!!**

حاولت بقية الأشجار همسًا أو عن طريق لغة الإشارة أن يطلبوا من الشجرة الكفّ عن البكاء؛ لكي لا يكتشف الكاتب سرهم.. لكنّ الشجرة كانت لا تزال صغيرة؛ لذلك فإنها عندما رأتهم يأمرونها بالصمت زادت من حدة بكائها عنادًا..

أما الكاتب فإنه تقدم نحوها مدفوعًا بشغف الفضول يريد أن يعرف السبب الذي من أجله كانت الشجرة الصغيرة تبكي، فسألها:

- لماذا تبكين؟!

بطبيعة الحال فإن الأشجار لا تعرف على وجه اليقين ما الذي يفعله بها الإنسان بعد أن يقتلعها من تربتها، إلا أنّها بغريزتها التي توارثتها جيلًا بعد جيل كانت تعتقد أنه يفعل ذلك ليتخذ منها حطبًا يُشعل بها ناره، فأجابت:

- لا أريد أن ينتهي بي المطاف في مدفأتك!!

www.ketab.ir

– لم أكن أريدكِ حطبًا للمدفأة، كنت أريد تحويلكِ لأوراق للكتابة.

– أوراق للكتابة؟؟

– نعم أوراق أكتب عليها قصة يقرؤها الأطفال والكبار..

– وما هي القصة التي ستكتبها؟

– إنها قصة فلسفية، عن طائر يقع في حُب سمكة.

في تلك اللحظة أحسّت الشجرة بأن هناك شعورًا طاغيًا في اللذّة يلامس أبعد نقطة في داخلها، لقد أحسّت بذلك السحر المُبهم الذي تمارسه القصة، لتشدنا أكثر نحو تفاصيلها الرائعة.. تساءلت الشجرة:

– كيف لطائر أن يقع في حُب سمكة؟!

ولأن ذلك الكاتب كان يؤمن بخصوصية القصة، فإنه لم يكن يُحب أن يتحدث عن شيء يكتبه قبل أن يكمله نهائيًا، لذلك قال:

– سوف تعرفين بعد أن أنتهي من كتابتها.

تمنّت الشجرة في أعماقها لو أنها تتحول لأوراق؛ كي يكتب عليها الكاتب قصته الفلسفية تلك، ولكنها في الوقت ذاته شعرت بالرعب من المصير الذي قد يلحق بها بعد أن ينتهي الناس من قراءتها، فسألت بقلق:

– وماذا سيحدث للأوراق بعد أن ينتهي الأطفال والكبار من قراءتها؟

– إذا كانت القصة جيدة فإنهم سيحتفظون بها لإعادة قراءتها من وقت لآخر، أو ليقوموا بإهدائها لشخص يحبونه..

www.ketab.ir

وعندما اطمأنّت الشجرة للمصير الذي ستؤول إليه الأوراق بعد الانتهاء من قراءتها، فإنها اتخذت قرارًا غير متوقع جعل بقية الأشجار تشهق لفرط جرأته:

- أريدك أن تحولني لأوراق - ثم أضافت: ولكن بشرط..

تساءل الكاتب: ما هو الشرط؟!

فقالت: «**أن تكتب قصة رائعة تستحق أن أموت من أجلها**»

***

نظر إليّ العم ميلاد بعد انتهائه من سرد القصة وقال:

- **إذا أردت أن تصبحَ كاتبًا في المستقبل، فاكتب شيئًا يستحق أن تموت الأشجار من أجله، هذا هو ميثاق الشجرة والكاتب.**

أذكر أنّ تلك القصة جعلت بداخلي شغفًا كبيرًا لأتعلم الكتابة وأكتب شيئًا تستحق أن تموت الأشجار من أجله؛ لذلك ذهبت للعم ميلاد في اليوم التالي لكي أريه شيئًا من كتاباتي، فأخذ الورقة من يدي وقرأ:

«ما أروع وأفتن عينيها الخلّابتين.. عينيها اللتين كأنهما ثقبٌ أسود فضائي سحيق.. يدفع النجوم المضيئة التي في السماء البعيدة دفعًا للدخول إليه»

بعد أن انتهى من القراءة نظر إليّ بصمت ولم يعلّق، فسألته:

- هل كتاباتي سيئة؟!

- في الحقيقة إنها سيئة لدرجة أني شعرت برغبة في التقيؤ وأنا أقرأ.

لقد آلمني بصراحته لكنّه لم يكترث لشعوري، وأخرج من جيب سترته قلمًا سائلًا انتزع غطاءه بفمه وجعل يكتب على ورقتي شيئًا بينمـا هو يقول:

- إنّ الكتابة الجيدة عبارة عن فكرة وكلمة.. وفكرتك هذه لا بأس بها ولكنّك تعاني من الإسراف في استخدام الكلمات - ثم أضاف متسائلًا: قل لي لماذا لا تلجأ لتبسيط كتاباتك؟!

- لأن تعقيد الأمور هو ما يجعل الناس يعرفون بأنك كاتب.

- خطأ.. تعقيد الأمور هو ما يجعل الناس يعرفون بأنك أحمق، أما الكاتب الرائع فإنه ذاك الذي يجعل أكثر الأشياء تعقيدًا تبدو وكأنها تافهة لفرط بساطتها - ثم أضاف قائلًا وهو لا يزال يُمسك غطاء القلم بفمه ويواصل الكتابة: إنّ الكاتب الذي يخاف أن يكتشف الناس ركاكة محتواه، يلجأ للتعقيد في كتاباته، أتعرف لماذا؟!

- لا.

- كي يُخفي ضعفه بين السطور فلا ينتبه إليه أحد.. بينما الكاتب الرائع يكتب بأكبر بساطة ممكنة هل تعرف لماذا؟!

قلت غير واثق من صحة إجابتي:

- لأنه يثق بنفسه؛ وبالتالي هو لا يملك شيئًا يُريد إخفاءه بين السطور؟

- ها قد بدأت تستوعب درسك الثاني - قال ذلك ثم أعاد ورقتي: هاك، لقد أجريتُ بعض التعديلات على كتابتك..

www.ketab.ir

أخذت من يده الورقة وقرأت:

«كانت عيناها تُشبهان ثقبًا أسود

يُغري نجوم السماء بالدخول إليه»

لقد كان الكلام مكتوبًا ببساطة شديدة، ورغم هذا إلا أنه بدا أكثر عمقًا وجمالًا من النص القديم، لقد تخلص العم ميلاد من كل كلمة زائدة، وقام بإعادة صياغة التعبير بأكبر قدر ممكن من البساطة، قال:

- اكتب كلامًا يُلامس قلب القارئ؛ فالقارئ يبحث عن نفسه داخل كتاباتك وفي اللحظة التي سيجد نفسه فيها فإنه سيعلن عليك الحُب.

بدأت أسجل خلفه الملاحظات كي لا أنساها، بينما أكمل هو قائلًا:

- واقرأ بشغف كما لو أن القراءة ستدفع عنك موتًا يُطاردك.

وأضاف شيئًا أخيرًا:

- ولا تستهن بالكتابة أبدًا؛ فالكتابة تشبه قنبلة موقوتة، يجب عليك أن تكون في كامل وعيك وأنت تكتب وإلا انفجرت كلمة ما في وجهك وأردتك قتيلًا.

***

بعد قليل وبينما كنت لا أزال أجلس وحدي في الغرفة التي تغطي الخزائن الخشبية حيطانها الأربعة، إذ سمعت صلصلة مفتاح يدخل في الثقب المعدني لقفل باب الشقة؛ فعرفت أنّ العم ميلاد قد عاد.

www.ketab.ir

متوكئًا على عكازه الخشبي وببطء شديد يشي بتقدمه في السن، كان العم ميلاد يسير باتجاه الغرفة التي كنت جالسًا فيها..

دخل الغرفة بهدوء مبالغ فيه؛ لكي لا يوقظ الكتب النائمة على الأرفف الخشبية.. وما أن رآني جالسًا هُناك حتى قال بصوت خافت:

- اعتقدتُ بأنك غادرت..

- ليس قبل أن أعرف أين كنت

قال وهو يتقدم لعُمق الغرفة:

- أنت صديق جيد ولكنّك تملك قلب زوجة مزعجة.

ثم سألني وهو ينزع عن جسده المعطف الثقيل، ويُعلقه على المشجب:

- بالمناسبة أتعرف لماذا لم أتزوج بعد زوجتي الأولى؟!

- ربما لأنك أصبحت رجلًا منتهيَ الصلاحية؟!

- لا أيها الأبله ليس لهذا السبب - ثم أردف ساخرًا: حسنًا إنه أحد الأسباب، ولكن هُناك سبب آخر، قل لي ما هو..

- ما هو؟!

- لكي لا أجلب لنفسي محققًا مزعجًا في بيتي، يسألني في كل مرة يراني فيها إلى أين سأذهب، ومن سأقابل، ومتى سأعود.. لذا كف عن التحقيق معي!!

- أخبرني بأنّك لن تلجأ لي عندما تقع مصيبة فوق رأسك وأعدك بأن لا أحقق معك!!

www.ketab.ir

- يا أخي مللتُ البقاء في البيت فذهبت للتنزه قليلًا على قدمَيّ!!

- كيف إذًا لم تنتبه للسماء وهي تُمطر؟!

صمت قليلًا كما لو أنه استوعب الخطأ الذي وقع فيه ثم قال:

- كان يجب عليّ أن أفكر بحبكة مقنعة، قبل أن أكذب عليك.

- لماذا لا تريد أن تقول الحقيقة؟!

جلس فوق كرسيّ مكتبه، ثم قال بصوت مبحوح:

- لأنني في ورطة، ولا أريد أن أُشغل بالك بها..

- منذ متى أصبحتَ لا تُقحمني في مصائبك؟!

- منذ عرفت أنها مُصيبة لا حل لها..

- تكلم قد أستطيع مساعدتك

- لا، لن تستطيع

- أتقاسمها معك إذًا، فهكذا يفعل الأصدقاء.

سادت بيننا لحظة صمت قصيرة، قال بعدها معترفًا:

- لقد كنتُ في المشفى..

- وماذا عن صوت وقع الأقدام ذاك؟!

- لقد كانت الطبيبة المناوبة..

- وهل كانت الطبيبة المناوبة تنتعل حذاء كعب؟!

- نعم، وكم كنت أرغب في أن أخلعه من قدمها، وأضربها به على رأسها حتى تشعر بمدى الصداع الذي كان يسببه لي وقع كعب حذائها كلما تحركت خطوتين في العيادة.

www.ketab.ir

- وماذا كنت تفعل في المشفى؟!

- هل تذكر الحالات التي بتُّ أعاني منها منذ فترة؟!

- نعم، أذكرها ما بها؟!

- لقد ذهبتُ للمشفى قبل ثلاثة أسابيع من أجلها.. قمت بعمل بعض الفحوصات الطبية اللازمة، وأخبرتني حينها الطبيبة بأن النتائج قد تستغرق عدة أيام قبل أن تظهر.. ولكنّي نسيت أن أذهب لاحقًا للمراجعة.

- وما الذي ذكرك بها اليوم؟!

- لقد تلقيت البارحة اتصالًا من الطبيبة تطلب مني فيه زيارتها بأقرب فرصة ممكنة.. سألتها إن كان باستطاعتي زيارتها بوقت متأخر، فقالت بأنها ستكون مناوبة لهذه الليلة وبأني أستطيع الذهاب إليها في أي وقت - ثم همس العم ميلاد مداعبًا: ولا أخفيك سرًا بأنّي ظننت في البداية بأنّها قد تكون معجبة بي، وإلا فلماذا تسمح لي بزيارتها في وقت متأخر من الليل؟!

ابتسمتُ لدعابته:

- وهل اتضح لك أنها معجبة بك فعلًا؟!

- لا - قال ساخرًا وأضاف: فما الذي بظنّك قد يدفع طبيبة جميلة مثلها لأن تعجب بشخص سيموت قريبًا مثلي؟!

بدهشة سألته: ماذا تعني بكلامك هذا؟!

صمت قليلًا قبل أن يعترف: أنا مصاب بورم خبيث..

www.ketab.ir

ثم راح يخبرني أنّ الفحوصات النهائية قد كشفت بأن لديه كتلة كبيرة في الفص الأيسر من دماغه، وقد تبين لهم بعد التحاليل الدقيقة أنّها ورم خبيث؛ وهذا ما يُفسر حالات الصداع والإغماءات التي باتت تصيبه من فترة لأخرى:

- في أفضل الأحوال قد أعيش لمدة عامين ونصف العام.

- لا عليك سآخذ قرضًا من البنك، ونذهب لعلاجـ..

قاطعني قبل أن أُكمل:

- لا تتعب نفسك؛ فقد أكدت لي الطبيبة أنّهم اكتشفوا ذلك متأخرًا وأنّه لا أمل من إجراء عملية جراحية - وأضاف مازحًا كما لو أنه أراد مواساتي: ثم إنني على كل حال لن أسمح لك بأن تأخذ قرضًا من البنك لتساعد به رجلًا منتهي الصلاحية.

احتضنته بكل قوتي وكأني أحاول التشبث به فلا يخطفه الموت أبدًا.. يا الله امنع المصائب عنه؛ فإنّه صديقي!

- هل ثمّة ما أستطيع أن أفعله كي أخفف الحزن عنك؟!

- في الحقيقة نعم.

- ما هو؟!.. سأفعل أي شيء من أجلك

صمت قليلًا كما لو أنّه يعلم سلفًا بأنّ طلبه سيكون صعب التنفيذ، ثم أخيرًا همس بتردد وهو ينظر مباشرة لعينَيّ:

- **أريدك أن تكتب جزءًا ثالثًا من مدينة الحب لا يسكنها العقلاء.**

www.ketab.ir

2

شعرت لحظتذاك بالاختناق كما لو أنّ رأسي كان مغطسًا في بركة مياه ضحلة، قال العم ميلاد محاولًا إنقاذ الموقف:

- أعلم بأنك لم تعد تريد المواصلة في كتابة هذه السلسلة، وأنا أحترم رغبتك، وأؤكد لك بأنّك تستطيع رفض طلبي هذا إن أردت.. ومن غير أي ضغوطات عليك.

***

فيما مضى كنت أخاف كثيرًا من فكرة أنّي ربما وعن غير قصد أقوم بحبس نفسي داخل هذه السلسلة الأدبية فلا أستطيع الخروج منها أبدًا؛ لهذا فبعد إصدار «الجزء الثاني»[1] .. قمتُ بعقد صفقة مع العم ميلاد وهي: «التوقف نهائيًا عن كتابة هذه السلسلة»

أذكر أنه سألني وقتذاك عن السبب فأجبته قائلًا:

- أخاف أن يرتبط اسمي بهذه السلسلة، فلا أستطيع كتابة غيرها.

بدا متفهمًا حينها وهو يقول:

- قد تكون محقًّا، ولكن هل لديك فكرة جاهزة لكتابة عمل آخر؟

---

١ الجزء الثاني: «أنت كل أشيائي الجميلة»

www.ketab.ir

أجبته على سؤاله:

- لديّ رواية قمتُ بكتابتها منذ زمن طويل، لكنها بحاجة لبعض التعديلات، سيكون اسمها أبابيل - ثم أضفت قائلًا: لا أدري إن كانت ستكون رواية جيدة أم لا، لكنني سأقوم بتنفيذها على كل حال.

كانت «أبابيل» أول رواية أقوم بكتابتها على الإطلاق وأول عمل أدبي كان من المفترض أن يُنشر لي، ولكنني عندما فقدتُ الفتاة التي ينتهي اسمها بتاء مربوطة في تلك الأيام البعيدة اضطررت لكتابة مدينة الحُب لا يسكنها العقلاء ونشرها أولًا.

***

ما زالت طاولة خشب الأبنوس تفصلني عن العم ميلاد، وما زلت أنظر إليه بتعجب؛ هو الذي يعلم جيدًا وأكثر من أي شخص آخر بأنني لا أريد العودة لكتابة تلك السلسلة، فكيف له أن يطلب مني هذا الطلب الغريب، قلت غاضبًا:

- لقد اتفقنا على أن نتوقف نهائيًّا عـ..

قال مقاطعًا:

- صدقني أنت لستَ بحاجة لأن تتحدث معي بهذه الطريقة العصبية، حتى تذكرني بذلك الاتفاق؛ فأنا لا أزال أذكره جيدًا..

- طالما أنّكَ لا تزال تذكره جيدًا، فلماذا تطلب مني هذا الطلب؟

- لأنك سألتني إن كان هناك ما يخفف عني الحزن، فأخبرتك.

www.ketab.ir

لقد وضع فوق عاتقي حملًا كبيرًا، إنها أمنيته الأخيرة فهل أدعه يرحل قبل أن أُحققها له؟!.. قلت أُفكر بصوت مسموع:

- عندما قمتُ بنشر مدينة الحب لا يسكنها العقلاء في عام 2015 .. كان في قلبي شيء يهمس لي بأنّ هذا الكتاب سوف يتفرع مثل بذرة ويغدو يومًا سلسلة روائية، لكن في الوقت ذاته ما كنت أعرف كيف سيحدث هذا.. ثم ولولا تلك الطفلة المشاغبة التي جاءت تحمل الأوراق في معرض جدة الدولي للكتاب، لما كان هناك اليوم جزء ثانٍ منها..

سأل العم ميلاد: ماذا تريد أن تقول بالضبط؟!

- أريد أن أقول بأنّي كنت أملك مبررًا مقنعًا لكتابة الجزء الثاني، أما الآن فأنا لا أملك مبررًا أدبيًا واحدًا يدفعني لكتابة جزء ثالث..

- بل لديك.

أرسلت إليه نظرة مستفهمة، فقال:

- **السر المكتوب داخل الورقة النقدية.**

***

يا إلهي.. إنه يقصد سر الفتاة التي ينتهي اسمها بتاء مربوطة، ذاك السر الذي قامت بكتابته داخل الورقة النقدية من فئة العشرة ريالات والذي لم أتمكن من قراءته حينها..

سألتُ متوجسًا:

- ما الذي ذكرك به الآن؟!

www.ketab.ir

- لم يغب عن بالي يومًا - ثم أضاف بنبرة متوسلة: لا أريد أن أموت قبل أن أعرفه، أرجوك جِد طريقة تحثها بها على إخبارك بالسر..

- وماذا تريد مني أن أفعل - قلت مهتاجًا - هل جننت؟!.. أم أن هذه الكتلة الغبية التي في رأسك قد أثرت على وظائف عقلك الدماغية؟! لقد اختفت تلك الفتاة نهائيًّا، ولم أعد أعرف لها دربًا، أم أنك تريد مني أن أطرق أبواب بيوت العالم بيتًا بيتًا للبحث عنها وسؤالها عن ذلك السر اللعين؟!

أعرف أني قلت ما لا ينبغي قوله، أعرف أني قسوت عليه بكلماتي في الوقت الذي كان يجدر بي أن أكون معه أكثر لطافة من أي يوم مضى، قلت مستدركًا بندم: آسف، لم أكن أقصد.

متجاهلًا اعتذاري سأل بفضول:

- ألم تعد تحبها؟!

تهربتُ من سؤاله بالصمت.. فألقى بسؤال آخر:

- ألا يتعبك أن تكون غارقًا بكلام لا تستطيع البوح به؟

- ثمّة كلام البوح به يشبه السير فوق حقل ألغام.

- أنت بائس لأنك هُزمت، ونحن الرجال بطبيعة الحال لا نحب الكتابة عن معاركَ عُدنا من ساحاتها مُكللين بعار الهزيمة..

- لستُ حزينًا لأنّي هُزمت؛ فتلك الفتاة كانت المعركة الوحيدة التي أفتخر بأنّي هُزمت فيها.. لقد أخبرتك بهذا أكثر من مرة.

www.ketab.ir

عاد ليسأل السؤال الذي تهربتُ من إجابته قبل قليل:

- ألم تعد تحبها؟!

- لا، لم أعد أحبها..

- ألم تعد تخطر في بالك أبدًا؟!

- أبدًا.. للحد الذي لو رأيتها فيه صدفة بالشارع، فإني سأحتاج لوقت طويل حتى أتذكر من كانت، أو حتى أتذكر اسمها.

جعل يُحدق فيَّ لبعض الوقت كما لو أنّه يبحث عن الصدق في عيوني.. وحين طالت مدة تحديقه قلت له مقاطعًا:

- ما بك تنظر إلي بهذه الطريقة، هل أضعت شيئًا في وجهي؟!

- ليس عليك أن تطرق أبواب بيوت العالم بيتًا بيتًا لمعرفة السر..

- كيف تُريدني أن أصل إليه إذًا؟!

بخبثٍ همس كما لو أنه شيطان يدفعني لارتكاب معصية:

- اكتب لها جزءًا ثالثًا تطلب فيه منها معرفة السر - ثم أضاف: اكتب لها، فأنت تعلم جيدًا بأنها لن ترد لك طلبك..

لم أكن أعرف كيف أجيبه حينها، لذلك نهضت من مكاني متجهًا لباب البيت مغادرًا، فقال وهو يستعد للحاق بي: مهلًا، سآتي معك..

- لا، أفضل أن أكون وحيدًا.

- هل ستعود؟!

- لا أدري - قلت ذلك ثم غادرت.

www.ketab.ir

في الشوارع المبللة ببقايا المطر جعلت أسير وحدي تائه الخُطا كقط مشرّد لا يملك وجهة محددة للذهاب إليها: أنا لا أريد مواصلة الكتابة في هذه السلسلة، ولكن ليس فقط للأسباب التي قُلتها للعم ميلاد، بل لأن الكتابة إليكِ موجعة، تشبه وجع شخص يتألم لأن ثمّة من طعنه بخنجر حاد ثم أخذ يبرمُ نصل ذلك الخنجر داخل جرحه النازف.

لقد حاولتُ مرارًا نسيانكِ بيد أنّ كُل محاولة للنسيان كانت في نهاية المطاف تقودني إليكِ، لذا قررت لاحقًا الانهماك في أعمال كثيرة تفوق قدرتي على الاحتمال؛ فقط لكي لا يصبح لديّ متسع من الفراغ للتفكير بكِ.. لكن وأنا في غمرة انشغالي كان طيفكِ يمد ليّ كوب ماء دافئ، ويمسح بكفّيه قطرات العرق عن جبيني، ويهمس لي بحب: «أنا لك وأنت لي».. ثم بلطفٍ كان يُعانق روحي المُتعبة؛ من كُل شيء فيَشفيها.

لم أكن قويًا كما تظنين، كنتُ سرًّا آخذ كفاف قوتي منكِ، أنا الذي كان كلما شعر بالخوف، حمل قلبه المرتجف بين كفيه وراح يركض به نحوكِ باحثًا عن السلام، عن الأمان والطُّمأنينة..

آه لو تعلمين كم يُخيفني هذا البعد، كم تؤلمني هذه المسافة اللعينة بيننا، كم تؤذيني فكرة أننا لم نعد ندري عن تفاصيلنا، نحن اللّذَان كنا نعرف أدق التفاصيل عن بعضنا، كيف انتهى بنا المطاف اليوم إلى أن لا يعرف أحدنا عن الآخر أكثر مما يعرفه الغرباء عنا؟!

www.ketab.ir

أعلم بأني لم أكن شخصًا يسهلُ التعامل معه، أعلم بأنّي كنتُ مُملًّا، وموغلًا في الكآبة كجمرة مُنطفئة، لا شيء يروقني، كثير العتاب، متردد متشائم، إلا أنّ حضورك الطاغي كان يُشرّع نوافذ قلبي سامحًا للهواء والمطر وضوء الشمس بالعبور، فأصبح معكِ حافلًا بالحياة مثل كوكب ليس ثمّة فيه غير أطفال يلعبون ويضحكون..

أنتِ لا تعرفين كم نحن الرجال مخلوقات أنانية في عواطفنا، كم نحن بخلاء حين يتعلق الأمر بالتعبير عما يدور بقلوبنا.. ولكن لكل رجل منّا فتاة واحدة فقط حين تأتي تجعلنا مستعدين لتبني كُل كوابيسها وأحزانها وعقدها النفسية.. ونعطيها دون مقابل: أحلامًا، وضحكات وبالًا مطمئنًّا.. هذه الفتاة عندما تختفي يصبح الرجل منا واقفًا على شفير هاوية.. لا شيء ينقذه من السقوط غير التفتيش عن فتاة أخرى مشابهة..

وأنا لا أخفي عليكِ بأنّي قد حاولت مرارًا التفتيش عن فتاة تُشبهكِ، في الشوارع والمقاهي وفي وجوه كل العابرات فوق الجسور والأرصفة، لكن نجوم الله في السماء ذات ليلة همسن لي بأنّه ليس ثمّة حورية على سطح هذه الأرض تُشبهكِ.

هل عرفتِ الآن لماذا لا أريد كتابة جزء ثالث؟!.. أنّي أخاف أن أكتب عنكِ فيختلّ توازني وأسقط في الهاوية.. ولكنني في الوقت ذاته لا أستطيع رفض طلب العم ميلاد؛ فأنا لن أسامح نفسي أبدًا إن مات قبل أن أحقق له وصيته الأخيرة.

www.ketab.ir

3

مدير الدار،

الساعة 3:45 ليلًا،

في طريق العودة لشقة العم ميلاد.

تناولتُ هاتفي المحمول من جيب المعطف، وتواصلت فورًا مع «مدير الدار».. طال انتظاري وأنا أضع سماعة الهاتف على أذني للحد الذي أيقنتُ معه بأنه لن يُجيب، ولكن قبل أن تنتهي المكالمة رفع مدير الدار الخط وجرت بيننا هذه المحادثة:

- أستاذ باسل مرحبًا..

جاءني صوته خافتًا:

- ألم تنظر للوقت في ساعتك قبل أن تتصل بي؟!

قلت بخجل وأنا أستعد لإنهاء المكالمة:

- معك حق، لم أنتبه لتأخر الوقت، سأتصل بك غدًا

يبدو أنّ الفضول بدأ يركلُ بداخله كجنين يركلُ بطن أمه:

- تكلم قُل ما لديك..

- رواية - قلتُ بتردد - إنها رواية جديدة، أردتُ أن آخذ رأيك فيها قبل الشروع بكتابتها..

www.ketab.ir

- ما هي - سأل باهتمام - هل هي جزء آخر لـ أبابيل، لأنها لو كانت كذلك فأنا أخبرك بأنني سأقوم بنشرها لك حال انتهائك منها..

- إنها جزء آخر ولكن ليست لـ أبابيل، بل لمدينة الحُب لا يسكنها العقلاء

سأل بحيرة:

- هل توصلت للسر المكتوب داخل الورقة النقدية؟!

- لا، ومن أجل ذلك أريد كتابة الجزء الثالث..

- ماذا تقصد؟!

- سأطلب منها في الجزء الثالث أن تخبرني بالسر..

- وهل هناك قصة مثيرة ستقوم بكتابتها؟!

- أظن أن قصتي معها ستكون مادة أدبية جيدة، وأظن أيضًا أن..

قاطعني قائلًا وبطريقة مباشرة: أقصد هل ستكتب قصة مُثيرة من تلك التي لا تصلح إلا للكبار فقط؟!

أجبت عن سؤاله بإجابة تعني - لا ونعم - في الوقت ذاته:

- سأكتب القصة الحقيقية كما حدثت بالضبط.

أعرف أنه لم يكن راضيًا عن مستوى الوضوح في الإجابة، إنه يريد مني أن أكتب بجرأة عالية متجاوزًا كل الخطوط الحمراء فقط ليزيد حصة أرباحه من مبيعات الرواية، لكنني لن أكذب من أجل إرضائه سأكتب القصة كما حدثت بالضبط.

- وكم ستحتاج من الوقت لإنجازها؟

www.ketab.ir

- ربما شهر، أو أقل.

- شهر واحد فقط لكتابة الرواية؟!!

- نعم، فأنا سأكتب من الذاكرة، لن أبتكر قصة خيالية.

بخبث قال:

- عمومًا ستخضع هذه الرواية لاختبار لجنة الموافقة.

أُصبت بالدهشة مما سمعته؛ فالمؤلفون الجدد وحدهم فقط من تخضع أعمالهم الأدبية لاختبار لجنة الموافقة، حيث تقوم تلك اللجنة أولًا بالاطلاع على المادة الأدبية، ثم تقوم بإرفاق توصية لإدارة النشر تُفيد بقبول أو رفض العمل.. أما المؤلفون الذين قد تم نشر أعمالهم سابقًا فإنهم عادة لا يمرون بهذا الإجراء..

سألته:

- ولماذا ستقوم بإرسالها للجنة الموافقة؟

- اسمع يا أحمد.. هل تعرف لماذا تلعق الحيوانات نفسها؟!

أجبته بسخرية مبَطَّنة:

- في الحقيقة لا.. ولا أعرف حيوانًا آخر لأسأله، أخبرني أنت.

- لأن للعابها قدرة ذاتية على شفاء جروحها.

- لماذا تخبرني بهذه المعلومة الآن؟!

- لأنك أحيانًا تبدو لي مثل وحش جريح، تكتب فقط من أجل أن تلعق بكلماتك جُرحًا يؤذيك.

- غير صحيح أنا آآآ..

قاطع كلامي قائلًا:

- أنت تعلم بأننا أصدقاء، وبأنك تستطيع أن تطلب مني ما لا يستطيع غيرك أن يطلبه، ومن أجل هذه الصداقة أنا لن أنشر لك عملًا قد يضر بمصلحتك، لهذا سوف تمر روايتك القادمة على لجنة الموافقة.

«أنا وأنت نعرف جيدًا أننا لسنا أصدقاء فعلاقتنا قائمة على المصلحة، أنت تبحث عن منافعك الشخصية، وأنا أبدو لطيفًا معك بسبب عقد الاحتكار اللعين الذي بيننا.. فلا تحاول خداعي!!»

هذا ما كنت أريد أن أقوله.. لكنني لم أشأ أن أختلق معه مشكلة جديدة؛ فأكثر شخص من المفترض على المؤلف أن يخافه هذه الأيام هو مدير الدار التي يتعامل معها، لذلك قلتُ متظاهرًا بأني ابتلعتُ الطعم وأنا أستعد لإغلاق الخط:

- شكرًا لأنك تهتم لخطواتي الأدبية أستاذ باسل.. بعد أن أرسل لك المسوّدة النهائية للرواية تستطيع أن تفعل بها ما تشاء.

www.ketab.ir

4

4:15 فجرًا،

شقة العم ميلاد..

مددت يدي كابسًا زر جرس باب العم ميلاد، وما هي إلا لحظات حتى بدأت أسمع وقع خطواتٍ قادمة من عمق الشقة، يتبعها نقر عكاز على الأرض، قال وهو يفتح الباب:

- ظننت بأنكَ لن تعود؟!

- عُدت لأنّي أحتاج لمساعدتك

- تحتاجها في ماذا؟!

- في كتابة الجزء الثالث.

فاغرًا فاه، سأل مندهشًا: أستفعل هذا من أجلي؟!

- لن أدعك تغادر هذا العالم يا صديقي وفي قلبك لا تزال أمنية.

***

في الغرفة الواسعة التي تغطي الخزائن الخشبية حيطانها الأربعة، جلسنا متقابلين تفصل بيننا طاولة خشب الأبنوس والتي بات يعتليها الكثير من الأوراق البيضاء بالإضافة لمصباح القراءة وآلة الكتابة العتيقة..

قال وهو يمد لي قلمًا:

- اكتب بجنون كما لو أن أحدًا لن يقرأ لك.

www.ketab.ir

قلت معترفًا وأنا آخذ من يده القلم:

- لقد أخبرتك فيما مضى بأنني لا أريد كتابة جزء ثالث لأني أخاف أن يرتبط اسمي بهذه السلسلة، ولكن في الحقيقة ليس هذا هو السبب الوحيد.. إن التعايش مع فكرة غيابها كان أصعب شيء اضطررت لفعله طيلة حياتي، لن أقول بأني نجحت ولكنني مؤخرًا أصبحتُ أشعر ببعض التحسن.. وأخاف أن أعود للكتابة إليها، فأفتح لنفسي بابًا للذكريات لن أستطيع إغلاقه بسهولة..

ثم ولكي أُخفي عنه ضعفي فإني أخفضت رأسي وجعلت أتظاهر بالانشغال بالنظر في الأوراق البيضاء الممددة فوق الطاولة، وأردفت معترفًا كمذنب يعترف لقس كنيسة:

- أنا لا أزال أفكر بها..

- أعلم؛ فأنت تُضيء كبرق كلما فكرت بها.

- أنا لا أزال أُحبها..

- أعلم؛ فالقلب لا يكره قلبًا أحبه يومًا.

- أنا لم أنسها للحظة..

- أعلم؛ فالذي بينك وبينها أعمق من أن يُنسى.

- ماذا أفعل؟!

- لا تفعل، الوقت سيفعل، فكل شيء سيمضي.

- أعلم؛ ولكنّي لا أملك صبرًا يكفي لانتظاره حتى يمضي.

www.ketab.ir

مد يدًا ممتلئة بالعروق الناتئة رفع بها وجهي، وعندما نظرت إليه كانت ملامح وجهه جادة كما لم أرها يومًا..

قال:

- الله وحده يعلم بأن داخلك يحترق، الله وحده يعلم بأن قلبك معطوب، إنّه مطلعٌ عليك.. مطلعٌ على جروحك الغائرة.. على ارتجافة يديك، على قلقك، ضعفك، بؤسك، اضطرابك، ضياعك، وقلّة حيلتك، وهو لن يتركك.

- ولكنّ قلبي يحترق منذ زمن بعيد، أليس هذا كافيًا؟!

- أنت تحترق لتصل إلى ما أنت عليه الآن، ألم تقل يومًا بأنك تريد أن تصبح كاتبًا؟!.. ألم تقل يومًا بأن هذا هو حلمك الأكبر؟!.. أخبرني هل كنت لتصل إلى هنا لو أنك لم تتألم؟!.. إنّك تحترق لكي تنضَج.. وحالما تنضَج سيُطفئ الله النار المتقدة في صدرك.

- وإلى أن يُطفئها الله ماذا أفعل؟!

- اكتب.

***

وهكذا قرّبت القلم من الورقة وبدأت بكتابة القصة التي جمعتني بالفتاة التي ينتهي اسمها بتاء مربوطة.. تلك القصة القديمة والتي كان من المفترض أن تظل جاثمة بقاع صدري كسفينة منسية غارقة في أعماق المحيطات البعيدة، وأن لا أقوم بكتابتها أبدًا.

www.ketab.ir